حبُ الأوطانِ

أسأل نفسي هل ربيت أولادي وغرست فيهم حب الوطن والتغني به؟

الجواب : لا

الحقيقة لم أقم بهذا الأمر كما هو المعتاد عند الغالبية العظمى من المصريين ، يعلمون أولادهم أن يقولوا تحيا جمهورية مصر العربية (ثلاث مرات) وضروري العدد ! ، يحفظونهم شعارات مصر أم الدنيا ، حضارة مليون سنة والفراعنة وأبو الهول والأهرامات ، خير أجناد الأرض وما إلى ذلك من شعارات باهته لا تروق لي.

لم أقتنع بها يومًا لكي أعلمها نفسي قبل أن أعلمها أبنائي .

فقناعتي أن الأوطان للحياة والعمل والانتماء وليست للمحسوبية والشعارات والظلمات . وأن للجميع أوطان لهم فيها ما لي في وطن إن كان لي فيه شيء .

إذن ماذا فعلت تجاه وطني ؟ أستطيع أن أجيب عن نفسي أولًا ثم أنتقل بطبيعة الحال إلى أبنائي فهم من يسمعونني ويتلقون مني المعلومات والحقائق .

بالنسبة لمصر بعيدًا عن مآسيها أحبها لأنها بلدي وبلد أبائي وأجدادي ، لأنها ومن دون اختيار مني جعلها الله في قدري وجعلني في قدرها وأيضًا لأنني لا أستطيع أن أختار وأحدد هُويتي بدونها فهذا قانون العالم الذي نعيش فيه فبدون انتسابي لمكان وعرق وأصل فأنا مجهول الهُوية.

أما عن ربط الحب والانتماء بحفظ الشعارات فهذا بيدي أن أقبله أو أرفضه وأنا أرفضه أنا أغني وقتما شئت حينما أسعد بشئ قدمه لي الوطن أو قدمته أنا للوطن فكان ملهِمًا مفيدًا.

أما بالنسبة لتعليم أولادي ما أقتنع به، وهم بعد ذلك لهم كامل الحرية في التعبير عن حبهم لوطنهم بالطريقة التي يحبون فأنا لم يعلمني أحد طريقة ما وأنا أفضل أن يختار كل إنسان وفق ما عايش ورأى لا وفق ما يحكيه له الآخرون .

فعلمتهم أنك كباقي الناس من جميع البلدان لك عرق وأصل وفصل لا تخجل منه فكلنا في الهم سواء لا يوجد من هو منا من لديه ما يفتخر به ويتباهى به على الآخرين وإن وجد فليقل ماذا لديه ليفخر به.ولنقيم نحن من وجهة نظرنا هل هوشيء نبارك له عليه أم أنه ادعاء فارغ كباقي الادعاءات كفانا شعارات باهته وفارغة .

أُعلمهم أن لا ينكرون مساوئ بلدهم تحت شعار أن هذا إساءة لهم

وعلمتهم أيضًا أنهم ليسوا أقل من أي أحد فالانسان يُقيُم بدينه وعلمه وأخلاقه وعمله وليس بعائلته ولا قبيلته ولا وطنه فهذه أشياء لم يخترها الانسان وإنما فرضت عليه.

وعلمتهم ما هو أهم إن تَعرَضَ متنمر لهم بخصوص مساوئ وآفات بلدهم أن لا يخجل وينحني ويطأطأ رأسه مما يحصل بل يرفع رأسه عاليًا أنه أيضًا يرفض هذا العار والظلم ولكن عليه أن يلجم من يتحدث

معه بأن بلاده فيها مافي بلاده وأسوأ ولكنه يطبل ولو استطاع هو أن يطبل لبلاده لكان مثله ولا يوجد منا من له أفضلية على الآخر الا بماذكرته آنفًا.

وكما تعلمت أنا أن للحب لغات خمسة فغيري لا يعرف للحب إلا لغة واحدة وهي التطبيل والشعارات الباهته وأنا أستطيع أن أقول أن لغة الحب التي أتعامل بها مع الأوطان ليست كهذه التي يعتاد عليها الجميع وقد تكون في أغلب الأوقات ليست حقيقة إلى حد كبير، فلُغتي هي الأصعب وهي الاعتراض على الخطأ وإبراز الجُرح لربما يتعافى يومًا ما أو حتى يمثُل للشفاء أما وإن العفن موجود ونحن نضع عليه الزهور للزينة سيظل العفن وسيُعدي الصحيح ممن هم بجواره والمتضرر الوحيد هم أبناء هذا الوطن.

كما وأحب أن أضيف إن ضاقت بي أرض هذا الوطن ولم يقبلني وهذا واقع بطبيعة الحال فبإمكاني التضحية به واستبداله ببديل أخر فأرض الله واسعة وربما يكون البديل أسوأ وربما يمكننا التعايش فيه وربما يكون خير لنا ولمن حولنا ، هذا أيضًا ما أقتنع به وأعلمه نفسي وأولادي.

وأيضًا أُعلم نفسي وأولادي أن الأوطان كلها خير وفيها الصالح وغيره وفيها المقبول والمردود والمؤمنون إخوة لا فرق لهذا على ذاك.

أما وإنني في بعض الأحيان أُسلط لساني عامدة متعمدة على من يسبون وطني ليس لأنهم يسبونه فقد أسب الخبث فيه أنا أيضًا وإنما أسلط لساني وأعيبهم وأظهر عوراتهم ليس رفضًا لأن يُذكر وطني بسوء وإنما القصد إيقاف الجميع عند حده ليفهم أن الأوطان كلها سواء وتتفاوت فيها الخيرية والسوء ولا يوجد وطن ملائكي وليس من حق شخص أن يعيب شخصي وأسرتي وعائلتي والصالحين لأنه يريد ذلك فكما قال الله تعالى (وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك وكما قال وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون)فالأوطان هكذا أيضًا فليفهم الجميع ولا نزايد ولا نطبل للخطأ بحجة حب الأوطان.

فإن كانت الأوطان لا ترانا ولا تعتبرنا شيئًا فيمكننا أن نقول فلا عشنا ولا عاش الوطن ، ماذا يفعل الوطن بدوننا، هذه ليست دعوى للتخريب وإنما دعو للتخلي عن المكان الذي لا يقبلنا ونحن لا نستطيع أن نحاول ولا أن نبقى ونغير فيه .

فما أريد قوله انني أحب وطني بطريقة غير معتادة وأتمنى الخير له ولجميع أوطان المسلمين ولكن هذا لا يأتي على حساب تطبيلي وترديد شعارات باهته لا تغني ولا تسمن من جوع وتربي أجيال وأجيال فارغة فهو يعرف حب الوطن أن يحيي العلم ويحيي الرئيس ويقول نعم لما يقولوه فهو أضر نفسه والوطن، فلو كان الرجال فينا رُبوا على غير

ذلك أن حب الأوطان فعل وعمل وتضحية وجهاد وبناء وعدم ترك الحق والسعي لاخراج أصحاب الحق من الظلمات وعدم الرضى بالظلم فما كان حالنا هكذا وحال أوطاننا .

وختامًا أقول أستطيع وبملء فمي أنا أضحي بما أملك وبالرجال الذين ينتسبون إلي في حال واحدة أن يكون هذا الوطن يحتاجهم لإعلاء كلمة الله ولرد الحقوق وعدم ايقاع الظلم والدفاع عن المظلومين وايقاف الظالم عند حده فهذا وما يشبهه هو ما يكون دافعًا لي لأكون خنساءًا في هذا الزمن لأن الجزاء سلعة الله الغالية وهي الجنة وأيضا حياة كريمة فيها من العزه والكرامة أما غير ذلك فلا أضحي بنعل حذائي الذي لا أرتديه في قدمي من أجل كاءنا من كان فلن أبيع ديني ولا دنياي حتى بدنيا غيري .